﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ٦٩﴾

[الكهف: 69]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

عَزْمُ موسى على الصَّبرِ والطّاعة بعد إفصاحِ الخَضِرِ عن صعوبة ذلك

بعد أنْ ذكر البيانُ القرآنيُّ تأكيدَ الخَضِرِ لموسى بعدم صبره وتعليلَ ذلك بأنّه سيرى أمورًا عجيبة ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرًا﴾؛ أعقبَ بتأكيدِ موسى للخَضِر بأنّه سيجدهُ صابرًا، ولنْ يعصي له أمرًا؛ لثقته بعصمته فقال: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَابِرًا﴾: أصلُ (صبر) من الحَبْسِ، يُقالُ: صَبَرْتُ نَفْسي على ذلك الأَمرِ؛ أَيْ: حبَسْتَها[1]، والصَّبر حَبْسُ النَّفْسِ عند الجزَع، فهو نقيض الجَزَع[2]، والصَّبْرُ: الحبس والكفُّ والإمساك في ضيق، وصَبَرَ صبرًا: تجلّد ولم يجزع، وانتظرَ في هدوءٍ واطمئنان، ويُقال: صَبر على الأَمرِ: احتمله ولم يجزع، وصبرَ عنهُ: حبسَ نَفسه عنه، وصبّر نَفسه: حَبسها وضبطها[3].

2) ﴿أَعۡصِي﴾: (عصو، عصي) أَصْلانِ مُتَباينانِ يَدُلُّ أَحَدُهُما على التَّجَمُّعِ، ويدُلُّ الآخَرُ على الفُرْقَةِ، ومن الأصل الثاني: العِصْيانُ والمَعْصيَةُ، يُقالُ: عَصَى، وهوَ عاصٍ، والجَمعُ: عصاةٌ وعاصون، والعاصي: الفَصيلُ إذا عَصَى أُمَّهُ في اتِّباعِها[4]، والعِصْيانُ: ضِدُّ الطّاعَةِ، والعِصْيان: الامتِناع عن الانقياد، وعصاهُ مَعْصيّةً

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صبر).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (صبر).
(3) مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط: (صبر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عصوى).

وعصيانًا: خرجَ من طاعَته وخالف أمره فهوَ عاصٍ[1]، والمُراد بـ﴿وَلَآ أَعۡصِي﴾؛ أيْ: لا أخالفُكَ فيما تأمرني[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول عزّ ذِكْره مُخبرًا عن قولِ موسى للخَضِر بعد أن أخبرَه الخَضِرُ بأنّه لا يطيق الصّبرَ معه على ما سيرى من الأفعال التي لا علمَ له بوجوه صوابها: سَتَجِدُني إنْ شاءَ اللّه صابِرًا على ما أرى منك، وإنْ كان خلافًا لما هو عندي صوابٌ، وأنتهي إلى ما تأمرني[3].

اعتزامُ موسى الصَّبر والطّاعة والاستعانة بالمشيئةِ وبذل الوعد بذلك

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ فصل جملة ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ﴾ عمّا قبلها:

فَصَلَ البيانُ القرآنيُّ جملة: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ﴾ عن التي قبلها؛ لكونها جاءتْ على طريقةِ المُحاوَراتِ التي يُحذفُ فيها العاطفُ كراهيةَ تكرارِه بتكرارِ أفعال القول، أو لكونها جاءتِ استئنافًا بيانيًا مَبْنيًّا على سؤالٍ مقدّرٍ نشَأ عن الآيتيْن السابقتيْن: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾؛ وذلك أنّه بعد تأكيدِ الخَضِرِ بعدمِ استطاعة موسى الصبر، وتعليله لذلك بأنّه سيرى أمورًا عجيبة يُنكرها الشّرع، كأنَّه قيل: فماذا كان جوابُ موسى؟ فقيل: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا﴾[4].

الاستئناف البيانيّ لإظهار تأكيد موسى لوعدِه بالصَّبر على ما سيراه

التّعبير بالفعل الماضي ﴿قَالَ﴾:

عبّر البيانُ الإلهيّ بالماضي ﴿قَالَ﴾ في قوله: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا﴾؛ للدّلالة على أنّ فعلَ القولِ من موسى قد وقعَ وتحقّق؛ لأنّ الماضي يدلّ على زمنِ وقوعِ الحدثِ قبلَ زمنِ التكلّم، وهي حكايةُ

حكايةُ قولٍ حدثَ في الزّمنِ الماضي ولم يتكرّر بسبب المُضيّ

(1) الجوهريّ، الصّحاح، ومجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط: (عصا).
(2) البَغَويّ، معالم التنزيل: 3/ 206.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 71.
(4) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 107.

قصّةٍ حدثتْ وانتهتْ ولم تتكرّر، ولأنّ صيغةَ الفعل الماضي تناسبُ السياق الذي جاء الحوار فيه كلّه بصيغة الفعل الماضي.

معنى السّين في قوله ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾:

السّين في ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾؛ لتأكيد ما يقع في المستقبلِ من التزام موسى الصَّبر على المتابعة والطّاعة وعدمِ العصيان؛ أي إنّي منفذٌ ما طَلَبْتَ؛ وذلك لأنّ السين تفيدُ الوعدَ بحصولِ الفعل، فدخولها على الفعلِ مُقتضٍ لتوكيده وتثبيتِ معناه[1].

في تأكيدِ موسى لصبره وطاعته زيادةُ تطمينٍ للخَضِرِ بحُسنِ المتابعة

وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ موسى أتى بنهايةِ التّواضعِ لمَنْ هو أعلمُ منه في أمورٍ لا يعلمها، وفيه إرشادٌ لما ينبغي في طلبِ العلم[2].

نكتة إثبات ياء المتكلّم في ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ و﴿وَلَآ أَعۡصِي﴾:

أثبتَ البيانُ القرآنيُّ ياءَ المتكلّم في ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ و﴿وَلَآ أَعۡصِي﴾ في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا﴾، رغم أنّه حذفها في قول: ﴿نَبۡغِۚ﴾ و﴿تُعَلِّمَنِ﴾ - على قراءة الحذف فيما تقدم - ؛ لأنّ الموطنَ هنا موطنُ معاهدةٍ، وينبغي فيه أنْ يظْهَرَ موسى بشخصيتِه الكاملةِ، وكأنّه قال له: هذا شخصي كاملًا أُعاهدك على هذا، وللسَّببِ ذاته لم يُخفّف المدُّ بالفتحةِ في جوابِ الخَضِر في ﴿ٱتَّبَعۡتَنِي﴾ و﴿تَسۡـَٔلۡنِي﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا﴾؛ فالسياقُ سياقُ اشتراطٍ وعهد[3].

بيان أنّ صيغة التّكلّم مناسبة لسياقِ المعاهدةِ والالتزامِ

دلالة التّعبير بالفعل المضارع ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾:

عبّر البيانُ الإلهيّ بصيغة المضارع ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾؛ للدّلالةِ على وعدِ موسى باستمرارِ

الوعدُ بالاستمرارِ على الصّبرِ والطاعةِ إغراءٌ في قَبولِ المتابعة

(1) المَوزعيّ، مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص: 117.
(2) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 109.
(3) الكُبيْسي، لمسات بيانية: 7/ 67.

صبره على غريبِ ما سيراهُ من الخَضِر، واستمرارِ عدمِ مخالفته لأوامره، ولإفادةِ تصويرِ وجودِ الصبرِ من موسى عليه السلام.

وآثر مادّة (وجد)؛ ليدلُّ على حصولِ صبْرٍ ظاهرٍ محسوسٍ لرفيقه ومتبوعِه[1]، إذ معنى (وجد) في الأَصْل: إِصابَةُ الشَّيْء والإحساسُ به بعد أَنْ لم يكن ذلك[2]؛ أي الصبرُ سيكون موجودًا مُشاهَدًا يلحظُه الخَضِر؛ والمعنى: ستجدني بالفحصِ والتجربةِ والاختبارِ والمصاحبة والمعايشة والمعاينة صابرًا، وهذا أبلغُ في ثبوتِ الصَّبر فيما لو قال: (سأصبر)، الذي هو مجرّدُ وعدٍ بالصَّبر.

مرجع ضمير الفعل ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ في السّياق:

تـواضـع مـوسى وتـفـخـيـمُ شـأنِ الـخَـضِـر يُـبـرز حـالـة مـوسى النّفسيّة

في فعل ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ ضميران: **أحدهما:** ضمير متكلّم متّصل؛ وهو الياء في محلّ نصب مفعول به أوّل، ويرجع إلى موسى عليه السلام، **والثّاني:** ضمير مخاطب مستتر تقديره أنت في محلٍّ رفع فاعل، ويرجع إلى الخَضِر عليه السلام[3]، ويُفسِّرُ هذيْن الضميريْن ويُزيلُ إبهامَهما وجودُ صاحبيْهما في وقتِ الكلام الذي هو حوارٌ بين موسى والخَضِر؛ أيْ قد تقدّم مرجعُ الضميريْن تقدُّمًا لفظيًّا، وغرضُ التعبيرِ بالضميريْن في الفعل ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ هو الاختصارُ، والإشارةُ بضمير المُتكلّم المُتّصل (الياء) إلى تواضعِ موسى بإضمار التّصريح باسمه في سياقِ طلبِ التّعلُّم، فلم يُقَلْ: (ستجد موسى صابرًا)، وبضميرِ المُخاطَب المُستَتِر (أنت) إلى تفخيمِ شأنِ العبدِ الصالحِ العالم الذي لشهرته كأنّه يدلُّ على نفسه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 372.
(2) ابن الجَوْزيّ، نزهة الأعين النّواظر، ص: 615.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 632.

دلالة الاستثناء في قوله ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾:

تعليقُ الصَّبرِ على مشيئةِ الله تفويضٌ للأمرِ إليه

علّق البيانُ القرآني - على لسان موسى - الصّبرَ على مشيئةِ اللّه في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾؛ لكونها سُنّة الأنبياء والأولياء في مواعيدهم[1]، وللتّأكيدِ على الاتّصافِ بالصبرِ والطاعةِ للمُعلّمِ والتّواضعِ وعدمِ الاعتزازِ بالنفسِ والإعجابِ بها؛ أي: "قوّى تأكيده بالتّبرُّك بذِكْرِ اللّه تعالى"[2]، ولطلبِ التّوفيقِ من اللّه والاستعانةِ به على هذا الاتّصاف[3]؛ رجاءَ تسهيلِ اللّه له والنّفع به[4]؛ لأنّ الخَضِرَ نفى عن موسى الاستطاعةَ على وجه التأكيد بحرف (إنّ) وبحرف (لَنْ)، ولأنّ موسى يعلمُ من نفسه أنّه لا يصبرُ على ما لا يراه عِلْمًا، وما لم يُؤمن به حقيقةً[5]، ولأنّه يعلمُ بشدّةِ الأمرِ وصعوبته[6]، وأنّ الحميّةَ التي تأخذُ المُصلحَ عند مشاهدةِ الفسادِ شيءٌ لا يُطاق، هذا مع علمه أنّ النّبيّ المعصومَ الذي أمره اللّه بالمُسافَرة إليه واتّباعه واقتباسِ العلمِ منه بريٌّ من أنْ يباشرَ ما فيه غميزة في الدين[7].

وفيه كذلك مناسبةٌ للمقام؛ بسبب أنَّ موسى عندما سُئل عن أعلمِ الناسِ لم يَردّ العلم إليه تعالى؛ فأوحى إليه: إنّ لي عبدًا بمَجْمعِ البحرَيْن هو أعلمُ منك[8]، فالتزمَ التعليقَ على المشيئة أدبًا مع اللّه بعد أنْ تعلّم الدرسَ، ولما ورد في السّورة ذاتها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: 23 - 24]

(1) الجُرجانيّ، درج الدُّرر: 3/ 1156.
(2) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 110.
(3) الهَرَريّ، تفسير حدائق الرّوح والرّيحان: 16/ 444.
(4) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 110.
(5) الكتّاني، تفسير القرآن الكريم: 13/ 6.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 205.
(7) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 734.
(8) البخاريُّ، صحيح البخاري، كتاب: العِلْم، باب: ما يُستحب للعالِم إذا سُئل: أيُّ الناس أعلم؟ فيكِلَ العِلْم إلى الله، رقم، ص: 122.

الذي نزل بسببِ عدمِ تعليقِ النبيّ ﷺ جوابه على مشيئة الله عندما سُئل الإجابةَ عن أصحابِ الكهفِ وذي القرنيْن والرّوح.

دلالة الموقع الإعرابيّ للفظ ﴿صَابِرًا﴾:

الإخبار بالصّبرِ عن السّؤالِ والصّبرِ عن الإنكارِ مُفيدٌ في البيان

الموقعُ الإعرابيّ لـ﴿صَابِرًا﴾ في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ مفعول به ثانٍ لـ﴿سَتَجِدُنِي﴾، وما بين المفعولَيْن اعتراضٌ[1]، والمعنى: سوف تجدني صابرًا إنْ شاء الله على ما أرى منك؛ أيْ: أصبرُ عن السّؤال؛ فلا أسألُ عنه، وقيل: أصبرُ عن الإنكارِ؛ فلا أنكره عليك[2].

سرُّ استعمال اسم الفاعل ﴿صَابِرًا﴾ دون الفعل:

لا علمَ للمُتعلّم إلّا بالثّباتِ على الصّبرِ

استعملَ البيانُ القرآنيُّ اسم الفاعل ﴿صَابِرًا﴾ دون الفعل (سأصبر) في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾؛ للدّلالة على ثباتِ موسى على الصَّبر، واستمرارِ هذا الصبر منه؛ لأنّ الفعلَ يفيدُ التقييد بزمنٍ معيَّن، بخلافِ اسم الفاعل فإنّه يدلّ على حدثٍ ثابتٍ غير محدّدٍ بزمن، والمعنى: ستجدُ ما طلبتَ - وهو الصّبر - قائمًا، على أنّه وصفٌ مستمرٌّ[3]، ولكونِ ﴿صَابِرًا﴾ أعمَّ مراتبِ الصبرِ الخمس وهي: (الصّابِر)، و(المُصْطَبِر)، و(المُتَصَبِّر)، و(الصَّبور)، و(الصَّبّار)[4]، فكان التّعبيرُ باسم الفاعل (صابرًا) أبلغَ وآكدَ في الوعد بالصبرِ؛ لما فيه من معنى الثَّبات والاستمرار على الصبر.

سرُّ تقديم المشيئة على الصَّبر:

تقديمُ مشيئةِ المولى على فعلِ البشر أدبُ الأنبياءِ والصّالحين

قدَّمَ موسى ﷺ المشيئةَ على الصَّبرِ في قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾؛ اهتمامًا من موسى بكلمةِ التبرّكِ وتأدّبًا مع خالقه

(1) المُنتَجَب الهمذاني، الكتاب الفريد: 4/ 306.
(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 3/ 98، والمُنتَجَب الهمذاني، الكتاب الفريد: 4/ 306.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4560.
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (صبر).

ﷺ[1]، وكذلك لتحسينِ الكلام؛ إذ إنَّه لو أخّرَ التعليقَ بالمشيئة بأنْ قال: (ستجدني صابرًا إنْ شاء الله) لم يكنْ بذاكَ الحُسْن؛ ولعدم حُسن موقعِ الاعتراض، فإنّه من تحاسينِ الكلام[2]، ولأنّ موسى عليه السلام علمَ من نفسه أنّه لا يكاد يصبرُ على ما لا يراه عِلْمًا، وما لم يؤمنْ به حقيقةً، فابتدأ بالاستثناءِ قبلَ المُستثنى منه[3]؛ استعانةً به سبحانه على الصبرِ وعدم المخالفة[4].

معنى (الواو) في ﴿وَلَآ أَعْصِى﴾:

الواو في ﴿وَلَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ عاطفةٌ[5]، والمعطوف عليه جملة ﴿سَتَجِدُنِىٓ﴾، وهي منصوبةُ المحلِّ بالقول[6]، والمعنى: ستجدني إنْ شاءَ اللّهُ صابرًا ولا أعصي لك إنْ شاء الله أمرًا، والشّرطُ مع الجزاء المحذوف معترضٌ بين المفعولَيْن[7].

الصّبرُ الكاملُ يقتضي الاتّسامَ بأكملِ أحوالِ طالبِ العلم الهُمام

أو يكون المعطوف عليه الاسم المشتقّ ﴿صَابِرًا﴾ لكونه في معناه[8]، فيؤوّل الفعلُ بمصدر، وتكون بذلك الجملة في محلّ نصب؛ أيْ: ستجدني صابرًا وغيرَ عاصٍ[9].

وفي هذا العطفِ زيادةُ تأكيدٍ لوعدِ موسى عليه السلام بالصبرِ والتزامِ ما يقتضيه هذا الصبر الكامل من طاعة الآمرِ فيما يأمره به[10]، ولبيانِ التّمكُّن في كلّ من الوصفَيْن[11]، وتواضعٌ آخرَ منه بعد تمنّعٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 373، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4560.
(2) الطّيبي، فتوح الغيب: 9/ 518.
(3) المنتصر الكتّاني، تفسير القرآن العظيم: 13/ 6.
(4) طنطاوي، الوسيط: 8/ 554.
(5) وقيل إنها استئنافيّة وهو قولٌ فيه بُعْدٌ، انظر: ابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 12/ 533.
(6) ابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 12/ 533.
(7) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 9/ 518.
(8) كقوله تعالى: ﴿صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: 19]، أيْ: وقابضات.
(9) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 734.
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 373.
(11) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 110.

كان من الخَضِر[1]، ودلالةٌ على أنَّ أهمَّ ما يتّسمُ به طالبُ العلمِ مع الصَّبرِ الطاعةُ للمعلّم[2].

سرُّ النَّفي بـ﴿وَلَآ﴾ دون (لن):

موسى يناسبهُ نفيُ المخالفةِ ظرفيًّا لا على سبيلِ التّأبيد

عبّر البيانُ القرآنيُّ في نفيِ مخالفةِ موسى عليه السلام لأوامرِ الخَضِر بأداة النّفي ﴿وَلَآ﴾ دون (لن) في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾؛ لكون التّعبير بـ ﴿وَلَآ﴾ أنسبَ مع حاله، وما عُرف به من حميّة مع ما يخالفُ شريعةَ الله سبحانه، ممّا جعله يستعينُ على الوعدِ بالصبرِ بمشيئة الله سبحانه ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا﴾؛ إذ إنَّ (لا) لا تفيدُ النفي على جهةِ التَّأبيد الَّذي تُفيده (لن).

ولكون التَّعبير بها كذلك أنسبَ مع السّياقِ الَّذي نفى فيه الخَضِر استطاعةَ موسى على الصبرِ بصيغة التَّأبيد: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾.

معنى اللّام في ﴿لَكَ﴾، ومرجع الضَّمير فيها:

الطاعةُ المُطلقةُ لمَن اختصّه اللهُ بالعلمِ اللّدنّي المُلهَم

لام ﴿لَكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾؛ للاختصاص؛ أيْ: للخَضِرِ خاصّةً؛ أيْ: هذا التّسليمُ المُطلَقُ، وهذه الموافقةُ والطاعةُ في كلّ ما تأمرُ به دون أيّ مخالفةٍ لما تفعله مهما كان غريبًا مخالفًا الشريعة في ظاهره هو مختصٌّ بكَ وحدكَ؛ لعلمي بأنَّكَ معصومٌ قد آتاكَ اللّهُ رحمةً وعلمًا.

سرُّ تقديم الجارِّ والمجرور ﴿لَكَ﴾:

تقديمٌ فيه اهتِمامٌ وعِنايَةٌ بالخَضِرِ وبطاعتِهِ

قدَّمَ البيانُ القرآنيُّ شبه الجملة ﴿لَكَ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾، ولم يَقُلْ: (ولا أعصي أمرًا لك)؛ للاهتمام والعنايةِ بالمُقدَّم ورِفعةِ شأنه، وهو الخَضِرُ عليه السلام، وفي هذا إشارةٌ إلى شدّةِ تواضعِ موسى عليه السلام وأدبِه مع الخَضِر، وهو كليمُ الله ورسولٌ

(1) أبو حفص النَّسَفي، التيسير في التفسير: 10/ 114.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 373.

من أولي العزم، وإلى ضرورةِ احترامِ المعلّم وتوقيره والاهتمام به، وكذلك فيه زيادةُ تطمينٍ للخضرِ وإغراءٌ بقبولِ متابعة موسى له، وأيضًا مراعاةً للفاصلةِ القرآنيَّة، بما يُحقّق إحكامَ اللَّفظ.

سرُّ التّعبير بالأمر في قوله ﴿أَمۡرًا﴾:

وعـــدٌ مـن موسى بتسليمٍ يـشـمـلُ كـلَّ أحواله الظّاهرة والباطنة

عبَّر البيانُ القرآنيّ بلفظ الأمر دون الحُكم في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾؛ لكون لفظِ الأمرِ أنسبَ للمقام؛ وهو وعدُ موسى بالتسليمِ الكاملِ لكلّ ما سيفعله الخَضِر، أو يقوله، أو يأمر به، أو يُكلّف موسى به في هذه الرحلة، وليس فقط لما يحكمُ به؛ كما أنّ المقامَ هنا ليس مقامَ إصدارِ أحكامٍ من الخَضِرِ يمنعُ بها ظلمًا أو فسادًا[1]؛ وإنّما مقام أفعالٍ يقومُ بها أو يقولها ليُحقّق بها الخير.

والتعبير بـ﴿أَمۡرًا﴾ أنسبُ للسّياقِ الّذي صرّح فيه بعدمِ العصيانِ، فقال: ﴿وَلَآ أَعۡصِي﴾، وتاركُ المأمور به عاصٍ، والعاصي يستحقُّ العقاب والطرد؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الجن: 23][2].

سرُّ تنكير قوله ﴿أَمۡرًا﴾:

وعـــدُ مـوسى بعدمِ المخالفةِ دلـيـلٌ عـلى تـواضـعـه وانـسـلاكـه مع أهل الهدى

نكّرَ البيانُ الإلهيُّ لفظَ ﴿أَمۡرًا﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾؛ لإفادةِ العُموم؛ لوُقوعِ ﴿أَمۡرًا﴾ نَكِرةً في سياقِ النَّفي؛ أيْ: نفى موسى عن نفسه أيَّ مخالفةٍ لأوامرِ الخَضِر، والمعنى: لا أعصي لك أيَّ أمرٍ تأمرُ به، أو تطلبه مني، وهذا يدلُّ على تواضعِ موسى عليه السلام، وشدّةِ رغبته في متابعةِ الخَضِر، وطاعته لأمرِ ربّه رغم أنّه كليمُ اللّه ونبيُّ زمانه، ورسولٌ من أولي العَزْم، ويدلُّ كذلك على ثقةِ موسى بعصمةِ الخَضِر؛ لأنّ الإنسانَ لا يعصي مَنْ يثقُ بعصمته؛ وقد أخبره اللّهُ بأنّه آتى الخَضِر علمًا وأمَرَه باتّباعه.

(1) الرّاغب، المُفردات، ص: 248.
(2) ابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 12/ 534.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأمر والحُكم:

الأمرُ هو الشّأنُ والحالُ وطلبُ الفعلِ، والحكمُ هــو الـفـصـل والقضاءُ بالعدل

يتقارب لفظا (الأمر) و(الحُكم) في دلالتهما اللغوية، وكثيرًا ما يُستعمل أحدهما بمعنى الآخر، يقول الفَراهي: "وأمّا الحُكمُ بمعنى الأمرِ فكثيرٌ"[1]، وكثيرًا ما يأتي الأمرُ بمعنى الحُكْم[2]، ولكن مع هذا التّقارب هناك ملامح دلالية تُميّز كلًّا منهما، وذلك على النحو الآتي:

الأَمرُ الواحِدُ من الأُمورِ، ويأتي بمعنى الحادثة، والشَّأن، والحال والقضاء والقَدَر، والأمرُ ضدّ النّهي من قولك: افعلْ كذا؛ أي الأَمرُ: المصدر من الفعل (أمر)[3]، وأَمَرْتُه: إذا كلّفتَه أنْ يفعل شيئًا[4].

وأصلُ الحُكم هو المنع، وأوّلُ ذلك الحُكْم هو المنعُ من الظُّلم ومن الفسادِ، والحكمةُ لأنّها تمنعُ من الجهل[5]، وحَكَمَ: منعَ منعًا لإصلاح، والحُكْمُ بالشيء: أنْ تقضي بأنّه كذا، أو ليس بكذا، سواء ألزمتَ ذلك غيرك أم لم تُلزِمه[6]، ومن معاني الحُكْم: العِلْمُ والفِقْهُ والقضاء بالعدل والقوّة[7].

والحاصل: يتميّزُ لفظُ (الأمر) بأنّه ضدّ النّهي، فهو طلبُ الفعلِ والتّكليفِ به، ويأتي بمعنى الشّأن والحال، بينما يتميّز لفظُ (الحُكم) بمعنى المنع للإصلاحِ، والقضاء بالعدل.

(1) الفَراهي، مفردات القرآن، ص: 180.
(2) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 2/ 41 - 42.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصَّل: (أمر).
(4) الرّاغب، المُفردات، ص: 88، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 2/ 39.
(5) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (حكم).
(6) الراغب، المُفردات، ص: 248.
(7) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (حكم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»